# حرف اللام

## خير من معمّ مخول

غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس، وطلبتهم بنو تميم. فوقف لهم عنترة ولحقتهم كبكبة من الخيل. فحامى عنترة عن الناس، فلم يصب مدبر. وكان قيس بن زهير سيدهم، فساءه ما صنع عنترة يومئذٍ، فقال حين رجع: واللّه ما حمى الناس إلا ابن السوداء. وكان قيس أكولاً، فبلغ عنترة ما قال، فقال يعرض به:

[الكامل]

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ المَنْزِلِ
بَينَ اللَّكيكِ وَبَينَ ذَاتِ الحَرْمَلِ(١)
فَوَقَفْتُ فِي عَرَصَاتِهَا مُتَحَيِّراً،
أَسْلُ الدِّيارَ كَفِعلِ مَنْ لَم يَذْهَلِ(٢)

(١) الثواء: المكوث. اللكيك وذات الحرمل: موضعان. يبدأ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال. كانت وقفة طويلة، إنها وقفة تأمل؛ فالحياة لا تستقرّ على قرار في مجاهل الصحراء، رحل الأحبة عن اللكيك وذات الحرْمل، وتركوا في نفس الشاعر أسىً وحُزناً.

(٢) عَرصاتها، مفردها عرصة: كلّ بقعة بين الدور واسعة لا بناء فيها. كانت وقفة تأمّل وتذكّر، راحت عينا الشاعر تنتقل من مكان إلى آخر وتجوب بالذّاكرة لقطات الماضي السعيد الذي ولّى برحيل من نُحِبّ.

لَـعِـبَـتْ بـهـا الأَنْـوَاءُ بَـعْـدَ أنـيـسِـهـا
وَالـرّامِـسـاتُ وكُـلّ جَـوْنٍ مُـسْـبـلِ[١]
أفَـمِـنْ بُـكـاءِ حَـمـامَـةٍ فـي أيْـكَـةٍ
ذَرَفـتْ دمـوعـكَ فـوْقَ ظـهـرِ الـمَـحـمـلِ[٢]
كـالـدّرّ أوْ فَـضَـضِ الـجُـمـانِ تـقـطّـعـتْ
مِـنْـهُ عَـقَـائـدُ سِـلْـكـهِ لـم يُـوصَـلِ[٣]
لـمـا سَـمِـعْـتُ دُعـاءَ مُـرّة إذْ دَعَـا،
وَدُعـاءَ عَـبْـسٍ فـي الـوَغَـى وَمُـحَـلِّـلِ
نـادَيْـتُ: عَـبْـساً فـاسْـتَـجـابُـوا بـالـقَـنَـا،
وبَـكُـلّ أبـيـضَ صَـارِمٍ لـمْ يَـنْـجَـلِ[٤]

(١) الأنواء، مفردها نوء: النجوم المائلة للمغيب. الأنيس: النازل في المكان. الرامسات: الرياح التي تحمل التراب. الجَوْن: الأسود المشرّب حمرة. مسبل: ممطر. يرسم الشاعر المشهد، وقد تغيّرت معالمه؛ فالأمطار وشاركتها الرياح العاتية لعبت في أرجاء المكان وحوّلته عمّا ألفه عنترة، ومسحة الحزن ترتسم على محيّاه.

(٢) الأيكة: ضرب من الشجر الضخم. المحمل: ما يحمله البعير، وهو عبارة عن شقين يُحمل فيهما العديلان. هناك بين الأغصان حمامة تبكي أليفاً رحل وتركها في عُزلة وغُربة، فإذا بدموع غزارٍ مفاجئة فوق ظهر محمل جمل الشاعر.

(٣) فضض: تفرّق. الجمان، واحدها جمانة: هنوات تُتّخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة. فارسيّ معرّب. يُشبّه الشاعر دموع الحمامة بعقد من الدرّ المتناثر واللؤلؤ الفضيّ الذي انفرط عقده فبدا في كلّ مكان.

(٤) الصارم: البتّار من السيوف. لم ينجل: لم يُشحذ. بادر الشاعر إلى استجابة مُرّة وبني عبس إلى القِتال فسارع إلى إعلان النفير في بني عبس، وكانت الاستجابة بشتّى أنواع السلاح؛ القنا، والسيوف البتّارة التي لم تشحذ.

حَـتـى اسْـتَـبَـاحُـوا آلَ عَـوْفٍ عَـنـوَةً
بـالـمَـشْـرَفـيّ وَبـالـوَشـيـجِ الـذُّبّـلِ[١]
إنـي امْـرُؤٌ مـن خَـيـرِ عَـبـسٍ مَـنْـصِـبـاً
شَـطْـرِي وَأحـمـي سـائـرِي بـالـمُـنـصـلِ[٢]
إنْ يُـلْـحَـقُـوا أكْـرُرْ وَإنْ يُـسـتـلـحَـمـوا
أشْـدُدْ وَإنْ يُـلْـفَـوْا بـضَـنـكٍ أنـزِلِ[٣]
حـيـنَ الـنّـزُولُ يـكـونُ غـايَـةَ مِـثْـلِـنَـا
وَيَـفِـرّ كـلّ مُـضَـلَّـلٍ مُـسْـتَـوْهِـلِ[٤]

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٢: ٤١٦ مادة (بوح) «وقد استباحه أي انتهبه، واستباحوهم أي استأصلوهم... يقال: أباحه يُبيحه واستباحه يستبيحه؛ قال عنترة: ...» الوشيج: ضرب من الشجر تستعمل أغصانه في صناعة القنا. الذبّل: الدقيقة. أسفرت المعركة عن الفتك بآل عوف بالسيوف الصَّارمة والرماح الرفيعة رغماً عنهم ورغم استبسالهم.

(٢) ورد البيت في: لسان العرب ٤: ٤٩٢ مادة (ضمر) «والإضمار: سكون التاء من مُتَفَاعِلُنْ في الكامل حتى يصير مُتْفاعلن، وهذا بناء غير معقول فنقل إلى بناء مقُولٍ مَعْقُول، وهو مستفعلن؛ كقول عنترة: ...» منصباً: حسباً. المُنْصُل: السيف، يفخر الشاعر بانتسابه إلى شدّاد، أحد نبلاء بني عبس، وشطره الثاني لا مجال للفخر به، أمّ سوداء، لا أصل لها، أمةٌ جار الزمان عليها بعبودية بغيضة، لذا أمكن للشاعر أن يستبدل بهذا الشطر شجاعة وقوّة تغلق أفواه المتقوّلين والسَّاخرين.

(٣) يُلحقوا: أي يلاحقهم عدوّهم. يُستلحَموا: يُجبروا على القتال ويحشروا في آتون الحرب ولا يجدوا من يخلّصهم من الهزيمة، عند الضيق وشدّة المعركة يفتقد بنو عبس منقذهم، وقد دارت بهم الدوائر، وهم مشرفون على الهزيمة يشدّ عنترة على الأعداء ويكرّ كرّة الأسد الهصور فتنزل بهم الهزائم، وتلوح بشائر النصر في بني عبس.

(٤) مستوهل: هو من هاله الحرب وأثار رعبه. غاية الشاعر التأكيد على =

وَلَـقَـدْ أبِـيـتُ عَـلـى الـطّـوَى وَأظَـلّـهُ
حَـتـى أنَـالَ بـهِ كَـرِيـمَ الـمَـأكَـلِ[١]
وَإذا الـكـتـيـبَـةُ أحـجَـمـتْ وَتـلاحـظـتْ
أُلْـفـيـتُ خَـيـراً مِـنْ مُـعَـمٍّ مُـخْـوَلِ[٢]
وَالـخَـيْـلُ تَـعْـلَـمُ وَالـفَـوَارِسُ أنّـنـي
فَـرّقْـتُ جَـمْـعَـهُـمُ بـطَـعْـنَـةِ فَـيْـصَـلِ[٣]
إذْ لا أُبـادِرُ فـي الـمَـضِـيـقِ فَـوَارِسـي
أوْلا أُوَكَّـلُ بـالـرّعـيـلِ الأوّلِ[٤]

---

= بطولته، فينزل إلى وسط المعركة؛ وذلك مناه الذي يسعى إليه، في هذه الأثناء يفرّ الجبان الضعيف ويحتمي بالهزيمة.

(١) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٤٦، شرح المفصل، لابن يعيش الحلبي، لسان العرب ١١: ٤١٩ مادة (ظلل) «وقول عنترة: . . . ، أراد: وأظلّ عليه». الطوى: الجوع. نفس عفيفة، تأبى الضيم، فيها أنفة العربي الصميم. من كرامة نفس الشاعر أنه لا يستعطي ولا يستذلّ لأحد، فهو يفضل البقاء جائعاً في عِزّة نفسه، وإن أكل فأكل كريم.

(٢) الكتيبة: الفرقة من الجند. تلاحظت: راح الأبطال يفتّشون عمّن بقدرته حمايتهم بنظر الملهوف. المُعَمّ المُخْوَل: الأعمام والأخوال. يعرف القوم قيمة عنترة عندما يعرفون الخوف فيُحجمون، ودقّات قلوبهم تتسارع، فيتلفّت الأبطال يفتّشون عمّن باستطاعته حمايتهم، وتقع العيون على عنترة البطل المنقذ. هنا فقط ينسون القرابة والخال والعمّ الحنون.

(٣) الفيصل: الحامي الذي يُقاتل دونهم. نوعان يعلمان يقيناً ما فعله عنترة؛ الخيل وهي على علم بطبيعة الأبطال الحقيقيين لكثرة ما شاهدت من أهوال الحروب، والفرسان الحقيقيون الذين يقرّون لعنترة بالتفوّق في ميادين القتال حيث يكون حامي حمى بني عبس دون أعدائهم.

(٤) ورد البيت في: لسان العرب ١١: ٢٨٧ مادة (رعل) «قال ابن سيده: =

وَلَـقَـدْ غَـدَوْتُ أمـامَ رَايَـةِ غـالِـبٍ
يَـوْمَ الـهـيَـاجِ وَمـا غَـدَوْتُ بـأعْـزَلِ[١]
بَـكَـرَتْ تُـخَـوّفـنـي الـحُـتـوفَ كـأنّـنـي
أصْبحتُ عن غرض الحتوفِ بمعزِلِ[٢]
فَـأجَـبْـتُـهَـا: إنّ الـمَـنـيّـةَ مَـنْـهـلٌ
لا بـدّ أنْ أُسْـقـى بـكـأسِ الـمَـنْـهَـلِ[٣]
فـاقـنـي حَـيَـاءَكِ لا أبـا لَـكِ وَاعْـلَـمـي
أنـي امْـرُؤٌ سـأمُـوتُ إنْ لـمْ أُقْـتَـلِ[٤]

---

= والرعيل كالرعلة: القطيع أو القطعة من الخيل ليست بالكثيرة، وقد يكون من الخيل والرجال؛ قال عنترة: . . .» ومن فخره بشجاعته أنه لا يسارع بالفرار من المعركة، بل إذا ما اشتدّ وطيس المعركة كان يحمي ظهور بني قومه ويردّ المقاتلين منهم إلى ساحة الميدان.

(١) غالب: هو الموكل بحمل الراية. الأعزل: هو من لا سلاح معه. الراية رمز، ومن يستميت ويثبت إلى جانب حاملها يُعدّ من الأبطال الحقيقيين. والعادة أن الأعداء يعملون على إسقاط الراية إيذاناً بهزيمة أهل الراية. والشاعر يفخر بهذا الدور البطولي، وهو المدجّج بسلاحه.

(٢) بكرت: سارعت إلى لوم الشاعر على مخاطرته بنفسه. الحتوف: الموت. يردّ الشاعر على لائمته بمنطق الواعي لطبيعة صراع البدوي مع الكون بأسره؛ من إنسان وحيوان وطبيعة أن الموت لا ريب آتٍ، ولا مفرّ منه، فلماذا الهرب إذاً؟ وإلى أين؟

(٣) ورد البيت في لسان العرب ١٥: ٢٠١ مادة (قنا) «. . . ومنه قنيت حيائي أي لزمته؛ وأنشد لعنترة: . . .» المنيّة: الموت. المنهل: مورد الماء. من لوازم البطولة والفروسية الحرص على الموت في سبيل غاية أسمى وهدف نبيل؛ وذلك باب خلود الذكر على مدى الأيام. والشاعر من هذه الطبقة المميّزة التي وهبت نفسها للخلود.

(٤) ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ١: ٣٤٤، لسان العرب ١٤: ١١ =

إنّ الـمَـنِـيّـةَ لَـوْ تُـمَـثَّـلُ مُـثّـلَـتْ
مِـثْـلـي إذا نَـزَلُـوا بـضَـنْـكِ الـمَـنْـزِلِ[١]
وَالـخَـيْـلُ سـاهِـمَـةُ الـوُجُـوهِ كَـأنّـمَـا
تُـسْـقَـى فَـوَارِسُـهـا نَـقـيـعَ الـحَـنْـظَـلِ[٢]
إذَا حُـمِـلْـتُ عَـلـى الـكَـرِيـهَـةِ لـمْ أقُـلْ
بَـعْـدَ الـكَـرِيـهَـةِ لَـيْـتَـنـي لـمْ أفْـعَـلِ[٣]

## يا عبل كم من غمرة!

[الكامل]

عَـجِـبَـتْ عُـبَـيْـلَـةُ مِـنْ فَـتـىً مُـتَـبَـذّلِ
عـارِي الأشـاجـعِ شـاحِـبٍ كـالـمُـنْـصَـلِ[٤]

= مادة (أبي) «فكما لا تقول لمن لا أب له أفقدك اللّه أباك كذلك تعلم أن قولهم لمن لا أب لك لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظته، وإنما هي خارجة مخرج المثل على ما فسّره أبو علي: قال عنترة: . . .» وورد البيت أيضاً في ١٥: ٢٠١ مادة (قنا) «ومنه قنيت حيائي أي لزمته؛ وأنشد لعنترة: . . .».

(١) من شدّة ثقة الشاعر يرى أنه تتجسّد فيه فكرة الموت، فهو مسبب الموت لأعدائه في ميدان الحرب.

(٢) ساهمة: مفكّرة بما يدور حولها. للخيول تأملات وهي على علم بما ستؤول أحوال فرسانها التي تنتكب بموت مفاجئ والدماء تنزف من جراحاتهم.

(٣) الكريهة: يقصد بذلك الحرب. ولو اضطرّ عنترة لخوض، فلا يتردّد ولا يلوم نفسه ولا يسأل لماذا فعل ذلك.

(٤) المتبذّل: الباذل نفسه في الحروب. عاري الأشاجع: قليل اللحم. المُنْصُل: السيف. يستغرب الشاعر من أن عبلة في حيرة من أمرها، وهي =